MERS
MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN-NAHAR
Date : 14-8-98
Photo No. : 263

حلم لبناني وعقلانية سورية

بقلم سمير قصير

يراود بعض اللبنانيين حلم: ان تستفيق سوريا غداً وتكتشف كم ان الادارة الحالية للعلاقات اللبنانية – السورية تسيء الى كلا البلدين، فتعزم على تعديلها وتقرر بادىء ذي بدء العمل على ان يكون انتخاب رئيس جمهورية لبنان على حجم الاستحقاق وليس اجراء شبه اداري "يبلع حيث تدعو الحاجة".

في طبيعة الحال، مثل هذا الحلم كابوس لبعض آخر من اللبنانيين، ممن ينتمون الى الطاقم المولج ادارة تناقضات البلد، وتحديداً لتلك المحفنة من المسترئسين الذين ما كانوا يفكرون بمنصب اداري من الدرجة الثانية لو لم تكن الظروف على ما هي. ذلك ان "صحوة" سورية من هذا القبيل من شأنها اولاً اختصار "الشورت ليست" (او اللائحة المصغرة من الشخصيات المارونية التي تملك بعض الامل في استرضاء دمشق وتالياً خلافة الرئيس الياس الهراوي) الى شخص او اثنين على الاكثر ممن يمتلكون قماشة رجل الدولة ورؤية لمستقبل لبنان ولتطوره الاقتصادي... ولعلاقاته مع سوريا. كما ان اختيار دمشق عقلنة السياسة اللبنانية من خلال انتقاء الرجل المناسب (المناسب للبنان وليس فقط لسوريا) سيؤدي حكماً الى خفوت صراع مراكز القوى، بدءاً بالترويكا (او ما تبقى منها) وصولاً الى "الوزراء المعارضين"، ومروراً بالمافيات التي باتت تؤطر عدداً من المرافق العامة.

حلم جميل، اليس كذلك؟ جميل ومتواضع. فعندما يصبح شرط التغيير هو قبول سوريا به؛ فيما هي راعية الوضع المراد تغييره، فهذا يكون انتصار سوريا الكبير. ولكن في هذه الحال لماذا يبقى مثل هذا الاحتمال مجرد حلم (وكابوس للبعض)؟ والله، هذا ما لا يفهمه اي مؤمن بالاخوة اللبنانية – السورية (طبعاً صادقاً غير منتفع).

ليس الوقت مؤاتياً لافتعال السذاجة او للتشاطر على الاخوة لهم وهم اشطر الشطار. ولكن كيف اخفاء الحيرة التي يثيرها التعاطي السوري مع لبنان، وخصوصاً على ابواب الاستحقاق الرئاسي؟

لا تأتي الحيرة فقط من التمييز الصمني بين مصلحة لبنانية واخرى سورية مفترضة ايضاً، كالذي يفعله نائب رئيس الجمهورية السورية، السيد عبد الحليم خدام، عندما يردد انه لو كان لبنانياً لرئيس للجمهورية غير النائب فلان (ولا يهم عند هذا الحد تحديد هذا النائب وان يكن اساسياً للتفسير المرتجى). كلا، تأتي الحيرة من مصلحة سوريا في ان يكون البلد الذي ترتبط به شبه كونفدرالياً فيظل يؤمّن لها الخدمات المصرفية والمتنفس التجاري فضلاً عن العمالة الاساسي لميزان مدفوعاتها ولحياة مئات الآلاف من سكانه والحسكة.

بازاء هذه التسميلات التي صارت بنيوية بالنسبة الى الاقتصاد لم حتى تلازم المسارين يصبح ثانوياً، حتى لا نتحدث عن صراع له ومع ذلك، نرى الراعي السوري لا يأبه في الظاهر للركود الاقتصادي تفاقمه اكثر فأكثر صراعات مراكز القوى، في ظل ركود سياسي لا له في موسم رئاسي.

ولكن لا بد ان تستفيق سوريا غداً وتكتشف كم ان الادارة للعلاقات اللبنانية – السورية تسيء الى كلا البلدين... حلم؟ لا عقلانية.

سمير